***

هذا الارتباك في المصادر التاريخية حول إطلاق مصطلح "الردَّة" على الحركات في الجزيرة بعد وفاة الرسول يؤكد ماذهب إليه العيني، الذي لاحظ عدم الدقة في استعمال المصطلح[١١٢]. ويبدو أن المؤرخين قد أهملوا أسباب تلك الحركات، واهتموا أصلاً بتعليل الحرب ضدها. وقد انتهت هذه الحرب في فترة قصيرة، وكان هدفها المركزي إخضاع القبائل كاملاً، بغض النظر عن علاقتها السابقة بالمدينة. كما كانت حرباً واحدة ضد جميع الحركات في الجزيرة آنئذ، لكن مصطلح الردة طغى عليها. وهذا المصطلح، الذي أطلق على الحرب، اسبغ أيضاً على المحاربين وحركاتهم. وملاحظات العيني تبدو صحيحة. فمصطلح الردة استعمل بشكل غير دقيق من قبل المؤرخين المسلمين؛ إلا أنهم، كما يبدو، لم يقصدوه بالمعنى المعقد والمفصل الذي أعطاه إياه الفقهاء. ولكن، بعد وقوع الخطأ، قام المحدثون، الفقهاء، أصحاب كتب "الفرق"، والمنافحون عن التيارات السياسية، وغيرهم، بتطويع المصطلح لخدمة مواقفهم. والغالب أن منشأ المصطلح هو للدلالة على سلوك القبائل المقيمة إلى الشمال الشرقي من المدينة، والتي قصَّرت في الوفاء بالتزاماتها تجاه دولة الإسلام. وجاء القُصَّاص (مثل سيف بن عمر)، ومن بعدهم المؤرخون المبكرون، ليطلقوا المصطلح، وبشكل غير دقيق، على كل الحركات في الجزيرة – خاصة وأن الحرب ضدها كانت واحدة، وقد تمَّت في وقت قصير جدًّا. أما الفقهاء، فقد أضفوا على المصطلح دلالة مغايرة، عندما أطلقوه، وبإصرار، على من لم يعتنق الإسلام بالواقع سابقاً.